



محموعة ورقات البريحة  
www.Waraqat.Net

#### مقدمة:

تقرأون في هذه المادة دروساً عظيمة من الحج يحتاجها الميدان الآن، دروس في الوحدة والمرجعية والشعار والوجهة، ورمي العدو بسهم واحدٍ رغم اختلاف أجناس وأطياف المواجهين.

كما تقرأون فيها كيف ابتلى الله إبراهيم بابتلاءات فأتمهن إبراهيم وفاء وقضاء.. فبشره الله بالإمامية (إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً) في آية تختصر لنا معنى الطريق وكأنها تنزل الآن.

وكيف أرسى النبي قانون حرمة الدماء والأموال والأعراض، وبين خطر اقتتال الجماعات المسلمة، ثم نداء إلى قادة الفصائل المقاتلة.

#### عناصر الخطبة:

- 1- الأمة الإسلامية أمة واحدة.
- 2- الحج رسالة في وحدة القيادة والمرجعية.
- 3- ابتلاء وصبر ثم تمكين وإمامية: آية تختصر لنا معنى الطريق !!

4- النبي صلّى الله عليه وسلم يصدّع بقانون حرمة الدماء والأموال والأعراض.

5- نداء إلى قادة الفصائل.

## 1- الأمة الإسلامية أمة واحدة:

إن الأصل في الإسلام هو وحدة الأمة، وتواصل أبنائها وقيامهم بكافة متطلبات هذه الأمة مهما اختلفت الأوطان والأزمنة. والحج مؤتمر عالمي يتكرر كل عام مرة، ويعقد في الأرض المباركة حول الكعبة؛ يجمع المسلمين، ويفصل بين قلوبهم، ويوحد غایاتهم، تحت شعار: "أمة واحدة" قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَإِنَّا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونَ﴾ [الأنبياء: 92]. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَإِنَّا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونَ﴾ [المؤمنون: 52] ليست كل دعوة إلى الوحدة ونبذ الفرق يستجاب لها؛ لأنها ربما كانت من أجل عصبية، أو إخلال بشرعية، أو عرض، أو نفس، أو عقل، أو مال.

في الحج تجلّى هذه الآية واضحة وضج النهار، وكأن الناس في طوافهم وسعيهم ورميهم ووقفهم كأنهم قرآن يمشي على الأرض في وحدتهم ووحدة دعائهم وتلبيتهم وعبادتهم لربهم.

وقد أمرنا الله بالاتحاد وحذرنا من التفرق فقال: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَنْفَرُوا) [آل عمران: 103]، كما أمرنا الله بطاعة الله ورسوله، وحذرنا من التنازع وجعل عقوبته الفشل قال الله تعالى: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشِلُوا وَتَنْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) [الأنفال: 46].

## 2- الحج رسالة في وحدة القيادة والمرجعية:

وما أعظم عوامل الوحدة بين الأمة الإسلامية، فربها واحد، وكتابها واحد، ورسولها واحد، وشريعتها واحدة، وعباداتها تجمعها وتوحد بينها، فالصلوة إلى قبلة واحدة، والصيام في شهر واحد، ويأتي الحج ليقوى هذه الوحدة، ومن أهم مظاهر ذلك:

### - فشعارهم واحد:

تلهم به ألسنتهم: "لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ".

### - ومكانهم واحد:

يلتقون على جبل عرفات: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: (الْحَجُّ عَرَفَاتُ الْحَجُّ عَرَفَاتُ الْحَجُّ عَرَفَاتُ أَيَّامٌ مِنْ ثَلَاثَةِ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمٌ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمٌ عَلَيْهِ) [البقرة: من الآية 203]، ومن أدرك عرفة قبل أن يطأطِلُ الفجر، فقد أدرك الحج.

### - واتجاههم واحد:

يطوفون حول الكعبة المشرفة.. التي جعلها الله قياماً للناس، ومحطاً لأنظارهم وقبلة لهم ﴿قَدْ نَرَى تَقْلِبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّنَّكَ قِبَلَةً تَرْضَاهَا فَوْلِ وَجْهِكَ شَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: من الآية 144]. وقال تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَاماً لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: من الآية 97]

- ولباسهم واحد: تذوب معه كل الفوارق.. يذكّرهم بالأكفان عند لقاء الرحمن.

### - واجتماعهم في زمان واحد:

قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَقَبَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجَّ﴾ [البقرة: 197].

### - وحركتهم واحدة:

وحدة الحركة في أعمال هذه الشعيرة حيث تراهم في عرفات، وإنفاسهم منه، وطوافهم حول البيت في فلك واحد واتجاه واحد حيث يوحى بأن المؤمن لا يخرج عن دائرة الإسلام، حياته كلها دائرة حول بيت الله ودين الله.

ومن أعظم مظاهر الاجتماع في الحج رجمهم للشيطان عدوهم جميعاً عن يد واحدة، إنها آية عظيمة والله في رص الصفة واتحاد القوة ضد العدو الواحد!

إنه لابد وأن تكون بين هذه الجموع الغفيرة للحجيج فوارق في قوة الإيمان وضعفه، وفي كثرة العمل لهذا الدين وقلته، وفي حضور الهدف وغيابه، وحتى في المعتقد فقد تكون هناك فوارق كذلك، ولكنهم جميعاً اجتمعوا على عدوهم المشترك في ضربة واحدة ليرسل الله لنا من ذلك رسالة مفادها:

إن عدوكم واحد، لا يفرق بينكم رغم اختلافكم، فاجتمعوا عليه في ضربة واحدة قاصمة.

هكذا ي يريد الله منا يا عباد الله (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفَّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ) [الصف:4]

لقد اجتمع في الحج أناس جاؤوا من كل فج عميق، تختلف أسلوباتهم وأقاليمهم وأنسابهم وطبقاتهم، ولكن أعمالهم واحدة وشعاراتهم واحد وحركاتهم واحدة واتجاههم واحد، ورسالتهم واحدة، وفي هذا رسالة واضحة من الله لكم يا من سلمكم الله قياد الناس والجماعات في أن لا تفخروا على غيركم ولا تحصروا الحق في منهجكم ولا ترفضوا الحق إن أتي من غيركم، بل بعضكم يكمل بعض، ويجب خطأ بعض في نصيحة رحيم، حتى يقوم بكم بنيان الأمة وتستوي على سوقها؛ فتعجب بكم الأمم، ويغيب الله بكم الكفار.

إن هذا الركن العظيم يذيب فوارق العرق والنسب واللغة والإقليم والطبقة، ويوحد بين الأمة في مخبرها ومظهرها، و يجعلها أمة واحدة. ويزيل الفرق التي يسعى إليها أعداء الأمة بالليل والنهار.

### 3-ابتلاءً وصبرً ثم تمكينٌ وإمامـة: آية تختصر لنا معنى الطريق:

في الحج ذكر الله لنا شيئاً من قصة إبراهيم عليه السلام لتخصر لنا ذلك الطريق الطويل وتضع لنا النقاط على الحروف، وكأنها تنزل اليوم، في بيان إلهي عجيب، ونسق من الترتيب والتعبير بديع: (وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ: إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا. قَالَ: وَمَنْ ذُرِّتِي؟ قَالَ: لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ) ابتلى الله إبراهيم بكلمات من الأوامر والتكاليف، فأتمهن وفاء وقضاء..

وكان هذا الدرس الميداني يتكرر اليوم، و تكتب حروف تفاصيله بمداد من الدماء الزكية التي سالت على أرض الشام فلقد طرَحَ إبراهيم في النار، وزعم قومه أنهم سينصرُونَ آلَهُمْ وطغيانهم بتحرّيقه (قالوا حرقوه وانصروا آلَهُمْ عن كنتم فاعلين)

والليوم يتكرر المشهد فكم حُرق من المسلمين الموحدين على أيدي الطغاة وال مجرمين والغالين، وكم تحرقت بيوت وخيام على ساكنيها فذهبت عائلات بأكملها إلى الله شاهدة على طغيان الطغاة وقصص المقصرين. وطرد إبراهيم من بلده مثلاً طرد سائر الأنبياء، (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا) والليوم يطرد الملايين من أرضهم وديارهم ليسيحوها في الأرض ويندوّوا ألواناً من الذل والهوان. ثم يأتي الأمر بذبح إسماعيل بعد شوق طويل إليه، فيلبي إبراهيم وولده نداء ربهم بكمال الاستسلام واليقين، ولكن لبي اليوم آباء وأمهات نداء ربهم وقدموا من أبنائهم قرابين حرقاً وختناً وصبراً وذبحاً وغرقاً وغيرها من أصناف التعذيب والتنكيل في سبيل نصرة الدين، إنها التضحية وأي تضحية!!

لقد وفى إبراهيم بالالتزامات التي ابتلاه بها ربُّه، (وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ)

فأتمهن وفاء وقضاء.. وقد شهد الله لإبراهيم في موضع آخر بالوفاء بالتزاماته على النحو الذي يرضى الله عنه فيستحق شهادته الجليلة: (وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَى) .. وهو مقام عظيم بلغه إبراهيم ليستحق بعدها تلك البشرى وتلك الثقة: (قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا) ..

إماماً يخذونه قدوة، ويقودهم إلى الله، ويقدمهم إلى الخير، ويكونون له تبعاً، وتكون له فيهم قيادة.

أرأيتم أيها المسلمين؟!

ابتلاء واختبار وتمحیص، يليه اصطفاء واجتباء وتمکین، ليكون إبراهیم إماماً للأمة في الدين!! هي رسالة من الله لنا، فالطريق طريق واحدة، بدايتها معلومة ونتیجتها محتملة، ومن أصدق من الله قيلاً.

قال بعدها إبراهیم: (وَمَنْ ذُرِّيَّتِي؟ قَالَ: لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)

يا رب: ومن ذريتي سيكون أئمة؟

قال الله: لا ينال عهدي الظالمين..

**والظلم أنواع وألوان:**

ظلم النفس بالشرك، وظلم الناس بالبغى..

والإمامية الممنوعة على الظالمين تشمل كل معانی الإمامة: إمامۃ الرسالۃ، وإمامۃ الخلافة، وإمامۃ المرجعیة والقيادة.. فالعدل بكل معانیه هو أساس استحقاق هذه الإمامة في أية صورة من صورها.

ومن ظلم- أي لون من الظلم- فقد جرد نفسه من حق الإمامة وأسقط حقه فيها بكل معنی من معانیها.

**فیا أَيُّهَا الْقَادِرُونَ:**

لقد نصبکم الله أئمة للناس في طريق الجهاد، وكلفکم بتکالیف عظیمة، ألا فوْفُوا بالتزاماتکم تجاه دینکم وأمکن کما وفى إبراهیم فامتدحه ربه وقال له: (إِنِّي جَاعَلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً)

إن الإمامة لن تكون بخيانة الأمانة، فاتقوا الله وارعوا حرمة الدماء التي تسیل، وحرمة ملابس المشردين، ومئات آلاف المعتقلين...

واعلموا أن محاولات التضییق والضغط على الشعوب لن توقف قدر الله الماضی إلى الإصلاح والتغيیر، ولن تمنع نور الله من الانتشار في الآفاق، ويجب أن ندرك جمیعاً أن مكر العدو ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ [فاطر: من الآیة 43]، وطغيان وبغی القوة الأمريكية والروسية والصفوية الغاشمة لن يعجز الله شيئاً ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَغْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتَّمِّنُ نُورٍ وَلَوْ كَرِهُ الْكَافِرُونَ ﴾ [الصف: 8]

وإنا لمؤمنون أن كل الدعم المادي والمعنوي وكل ما ينفق في هذا العالم للحیلولة دون عودة الناس إلى سبيل ربهم سيكون حسرة في الدنيا، وغلبة للمؤمنین عليهم، مع عظیم ما ينتظرون من عذاب في الآخرة تحقیقاً لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلِبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: 36].

ولذلك كله كانوا على يقین بأن النصر لأمة الإسلام آتٍ بحول الله وقوته وما ذلك على الله بعزيز.

**نَحْنُ أَقْوَيَاءُ بِالْحَقِّ وَالْإِيمَانِ:**

إن لنا سلاحاً لا يفل ولا تناول منه اللیالي والأیام هو (الحق): والحق باقٍ خالد، والله يقول: ﴿ بَلْ نَقْدِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبیاء: 18].

ويقول ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقُّ وَالْبَاطِلُ فَأَمَّا الْزَّيْدُ فَيَذَهَّبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْعَمُ النَّاسُ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْمَالُ ﴾ [الرعد: من الآیة 17]، ويقول: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: 81].

إن أول درجة من درجات القوی: قوی العقیدة والإیمان، ثم يلي ذلك قوی الوحدة والارتباط، ثم بعدهما قوی الساعد والسلح، ولا يصح أن تُوصف جماعة بالقوی، حتى توفر لها هذه المعانی جمیعاً.

ولن يتحقق لأمتنا ما تصبوا إليه من عزّة وسیادة إلا إذا نزعنا من قلوبنا الوهن الذي حذرنا منه رَسُولُ اللَّهِ- صلی الله عليه وسلم-: (يُوْشِكُ الْأُمُّ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكْلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا). فَقَالَ قَائِلٌ وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ قَالَ: "بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ

كَثِيرٌ وَلَكُمْ غُثَاءُ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعُنَ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوكُمُ الْمَهَابَةُ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنُ". فَقَالَ قَائِلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهَنُ قَالَ: "حُبُ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ".

#### 4- النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْدُعُ بِقَانُونِ حِرْمَةِ الدَّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ:

وقف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعِرْفَةِ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ وَنَادَى بِالنَّاسِ: (أَتَدْرُونَ أَيِّ يَوْمٍ هَذَا؟ قَلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ يَوْمُ النَّحرِ؟ قَلْنَا: بَلِّي، قَالَ: «أَيِّ شَهْرٍ هَذَا؟ قَلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ أَلَيْسَ ذَوَ الْحِجَّةِ؟ قَلْنَا: بَلِّي، قَالَ أَيِّ بَلْدَهُ هَذَا؟ قَلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ سَيَسْمِيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ أَلَيْسَ بِالْبَلَدِ الْحَرَامِ؟ قَلْنَا: بَلِّي، قَالَ: إِنَّ دَمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كِحْرَمَةٌ يَوْمَكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلْدَكُمْ هَذَا، إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، أَلَا هُلْ بَلَغْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهِدْ، فَلِيَبْلُغَ الشَّاهِدُ

[الْبَخَارِي: 1741]

(لِيَبْلُغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبُ) نَدَاءُ نَبِيِّ عَظِيمٍ لِتَحْذِيرِ الْأُمَّةِ كُلَّهَا شَاهِدُهَا وَغَائِبُهَا مِنْ إِرَاقَةِ دَمٍ مَعْصُومٍ بِغَيْرِ حَقٍّ أَوْ اعْتِدَاءِ عَلَى مَالٍ أَوْ عَرْضٍ، فَحَقُوقُ الْعِبَادِ غَالِيَةٌ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِذَلِكَ:

فَقَاتِلُ النَّفْسِ بِغَيْرِ حَقٍّ فِي غَضَبِ اللَّهِ وَنَارِهِ، وَلَعْنَتِهِ وَعِذَابِهِ. قَالَ تَعَالَى: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِيبَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَعْنَةُ وَأَعْدَلَهُ عَذَابًا عَظِيمًا) [النَّسَاءَ: 93]

وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ أَبِنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَنْ يَزَالْ الْمُؤْمِنُ فِي فَسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ مَا لَمْ يُصْبِبْ دَمًا حَرَامًا) [الْبَخَارِي: 6862].

قَالَ أَبْنَ الْعَرَبِيِّ فِي شِرْحِهِ: (الْفَسْحَةُ فِي الدِّينِ): سُعَةُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحةِ حَتَّى إِذَا جَاءَ الْقَتْلُ ضَاقَتْ؛ لِأَنَّهَا لَا تَفِي بِوزْرِهِ. وَعَنْ أَبْنِ عُمَرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (إِنْ مِنْ وَرَطَاتِ الْأَمْوَالِ الَّتِي لَا مُخْرِجٌ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا: سُفْكُ الدَّمِ الْحَرَامِ بِغَيْرِ حِلٍّ). وَنَظَرًا لِعَظِيمِ إِثْمِ جَرِيمَةِ الْقَتْلِ جَعَلَهَا اللَّهُ أَوْلَى مَا يُقْضَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّ مَرْتَكِبَهَا قَدْ تَبَيَّنَ أَمْرُهُ وَهَلَاكَهُ؛ عَنْ أَبْنِ مُسْعُودَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَوْلَى مَا يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي الدَّمَاءِ) [مُسْلِمٌ: 1678]. وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (الْزَوَالُ الدُّنْيَا أَهْوَنُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ) (النَّسَائِيُّ: 3987، وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ).

وَقَدْ حَذَرَ الْقُرْآنُ مِنْ اقْتِتَالِ الْأُمَّةِ بَيْنَ فَصَائِلِهَا وَجَمَاعَاتِهَا وَقَدْ نَبَهَ إِلَى هَذَا الْخَطَرِ حِينَ قَرَنَ بَيْنَ عَذَابِ مَهْلِكٍ يَنْزَلُ بِالصَّوْاعِدِ مِنَ السَّمَاءِ أَوْ بِالْزَلَازِلِ مِنَ الْأَرْضِ، وَبَيْنَ فِرْقَةِ الْأُمَّةِ وَانْقَسَامِهَا. قَالَ تَعَالَى: (قُلْ هُوَ الْفَقِيرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسُكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ) [الْأَنْعَامُ: 65].

وَقَدْ بَيْنَ لَنَا الْقُرْآنُ خَطَرَ أَنَّ الَّذِينَ يَقْوِمُونَ بِالْأَغْتِيَالَاتِ السِّيَاسِيَّةِ أَوِ الطَّائِفِيَّةِ - خَدْمَةً لِمَنْ كَلَّفَهُمْ بِهَذِهِ الْجَرِيمَةِ - وَبَيْنَ أَنَّهُمْ فِي غَضَبِ اللَّهِ وَنَارِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (قَالَ يَجِيءُ الْمَقْتُولُ أَخْذَا قَاتِلَهُ وَأَوْدَاجَهُ تَشَبَّهُ دَمًا عَنْ ذِي الْعِزَّةِ فَيَقُولُ يَا رَبِّ سَلْهُ هَذَا فِيمَ قَتَلْنَا فِيمَ قَتَلْتَهُ قَالَ قَتْلَتَهُ لِتَكُونَ الْعِزَّةَ لِفَلَانٍ قَبْلَ هِيَ لَهُ) [صَحِيحُ لِغَيْرِهِ، صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالْتَّرْهِيبِ: 2448].

وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَوْ أَنْ أَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ اجْتَمَعُوا عَلَى قَتْلِ مُسْلِمٍ؛ لِكَبَّهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا عَلَى وَجْهِهِمْ فِي النَّارِ) قَالَ الْأَلْبَانِيُّ صَحِيحُ لِغَيْرِهِ، [صَحِيحُ التَّرْغِيبِ وَالْتَّرْهِيبِ: 2443].

لَقَدْ حَذَرَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ التَّحْذِيرِ مِنِ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْعَصَبِيَّةِ الَّتِي تَسْتَبِعُ الدَّمَاءَ وَالْأَمْوَالَ وَالْأَعْرَاضَ؛ فَقَالَ: (مِثْلُ الَّذِي يَعِنِّ فَوْمَهُ عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ كَمِثْلٍ بَعِيرٍ تَرَدَّى فِي بَئْرٍ فَهُوَ يَنْزَعُ مِنْهَا بِذَنْبِهِ) [صَحِحُ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالْتَّرْهِيبِ: 2249].

ومعنى الحديث: أنه قد وقع في الهلاك والمعصية (كالبعير إذا تردى في بئر فصار ينزع يذنبه، ولا يقدر على الخلاص. وقد حذرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاقتتال الداخلي الذي يهدد كيان الأمة، فقال: **(إن الشيطان قد يئس أن يبعده المصليون في جزيرة العرب، ولكن في التحرش بينهم)** [مسلم: 2812].

لها كله ينبغي التنبه إلى خطورة غفلة الأمة عن كيد أعدائها حين يسعون لجرّهم إلى الاقتتال فيما بينهم، لتمزق الأمة من الداخل، وتنسى أن صراعها مع العدو التي خرجت لاسقاطه.

ولما ننسى أنه كان للعرب دولة وملُك في الأندلس فقدوه وخرجوا منها، عندما تحول الصراع بين ملوك الأندلس؛ يحارب بعضهم بعضاً، ويستعين بعضهم بالعدو الكافر على أخيه المسلم، حتى هُزموا جميعاً، وخرج آخر ملوكهم يبكي وأمه تقول له:

**ابك مثل النساء ملكاً مضاعاً \*\*\* لم تحافظ عليه مثل الرجال**

وكانني بالشاعر ينادينا بقوله:

**لا تُرجعوا مأساة أندلسِ لكم \*\*\* واستشعرووا الخطر العظيم وأبصروا**

إن الجماعات الإسلامية عندما تخصوص فيما بينها صراغاً لتصفيه مشاريعها بحجة انحرافها تنسي أن الأمة برمّتها خوض مع أعدائها صراغاً يهدد وجودها.

#### 5-نداء إلى قادة الفصائل:

فهذه رسالة إليكم يا قادة الجهاد في سوريا بأن توحدوا تحت قيادة واحدة ومرجعية واحدة، لا دور للمناصب الآن، العدو يلتهمنا جميعاً، دماء الأمة الآن رهن توحدهم، وأنين الأسرى والأسيرات ممن وهبوا ثقفهم يستنهض ضمائركم، أنتم جنود الله سواء كنتم في المقدمة أو في الساحة.

ولكم رأينا من كرامات في تحرير نقاط عسكرية تعجز عنها الجيوش المنظمة المدربة قد حررها شبابنا عندما توحدوا وأخلصوا النية لله، وكانت فتوحاً عظيمة تحررت على أثرها أجزاءً كبيرة من وطننا ولا تزال بقدرات بسيطة وبخسائر قليلة والأمثلة من الواقع أكثر من تحصى وكلكم يستحضر في ذهنه من تلكم الكرامات الشيء الكثير.

وليس بعيد عنكم نصر الله للمستضعفين في الغوطة من بعد أن ظن العدو الغاشم أنه قدر عليهم فأتى النصر الإلهي بحظر رباني لسلاح الطيران بسبب أحد جند الله وهو الغبار وعلى إثر هذا التقدم الذي أذهل كبريات الدول تغيرت سياسات وترسم الآن سياسات، نسأل الله أن يجعل كيد الفجار في نحورهم ويعيد المجاهدين من شرورهم.

إذا فالله قادر على نصرنا بأحقر الأشياء، وبأضعف جندي، وما علينا إلا أن نأخذ بأسباب النصر من الوحدة والإعداد والتوكيل ثم سترون نصراً مؤزراً يأتيكم من حيث لا تحيطون.

لقد شابت رؤوسنا، وكلت ألسنتنا ونحن نطالب الغرب والعرب بحظر جوي، ومضادات للطائرات، ولكن قد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي!

أما عندما نادينا الحيَّ القيوم بصلادة ودعاء وتضرع وأخذ بالأسباب وهبنا حظراً جوياً ونصراً مؤزراً بكلمة كن، إن نصر الله ينتظركم حتى تكونوا أهلاً، فإذا صرتم جاء نصر الله والفتح. فانصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم. لا تتفرقوا شيئاً وأحزاباً، كلُّ حزب بما لديهم فرحون، فالله جعلكم أمة واحدة، اسمعوا إلى نداء الله لكم وكأنه يخاطبكم اليوم: **(وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ \*** فَنَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُراً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) [المؤمنون: 53-52].

كل حزب (بما لديهم) فرحون" اقتصرت بالفرح على أفكارهم وآرائهم ولم يفرحوا بالحق إن كان مع غيرهم.

ألا فاتقوا ريكم وكونوا أمة واحدة، واعلموا أنه عندما تُستبدلُ عقيدة الولاء والبراء الربانية بعقيدة الولاء والبراء الأرضية ستكون النتيجة: (فَتَقْطَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرَحُونَ) فاللهُمَّ وَحْدَ صَفَ الْمُجَاهِدِينَ، وَاجْمَعْ كَلْمَتَهُمْ، وَسَدِّدْ رَأْيَهُمْ وَرَمِيمَهُمْ، وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

ملاحظة:

ينبه الخطيب المصلين على فضل صيام يوم عرفة وما فيه من الأجر، وعلى فضل اغتنام باقي أيام العشر.

المصادر: